﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تحذيرُ المشركين مِنَ الكفر بالقرآنِ ومعاداة الرَّسول

بعد أن ذَكَرَ النَّظمُ الكريمُ الوعيدَ العَظيمَ على الشِّرك، وبَيَّنَ أنَّ المُشْرِكينَ يَرْجِعونَ عَنِ القَولِ بِالشِّركِ في يَومِ القيامَةِ، ويُظْهِرونَ مِن أنفُسِهِمُ الذِّلَّةَ والخُضوعَ بِسَبَبِ استيلاءِ الخَوفِ عَلَيهِم، وبَيَّنَ أنَّ الإنسانَ جُبِلَ على التَّبَدُّلِ، فإن وجَدَ لِنَفسِهِ قوَّةً؛ بالَغَ في التَّكَبُّرِ والتَّعَظُّم، وإن أحَسَّ بِالفُتورِ والضَّعفِ؛ بالَغَ في إظهارِ الذِّلَّةِ والمَسكَنَةِ؛ ناسب أن يذكُرَ عَقيبَهُ كَلامًا آخَرَ يوجِبُ على هَؤُلاءِ الكُفّارِ ألّا يُبالِغوا في إظهارِ النُّفْرَةِ مِن قَبولِ التَّوحيدِ، وألّا يُفْرِطوا في إظهارِ العَداوةِ مَعَ الرَّسولِ[1].

توجيهُ الرَّسول إلى الإعراض عن المشركين دليلٌ على تناهي غضب الله عليهم

و يمكن أن يُقالَ في وجه المناسبة: "لَمّا ذكر ﷺ من أحوالِهم المندرجة في أحوالِ هذا النَّوع كلِّه ما هو مكشوف بشاهد الوجود، من أنَّه لا ثبات لهم لا سيَّما عند الشَّدائد؛ إعلامًا بالعراقة في الجهل والعجز، دلَّ على الأمرين معًا بما لا يمكن لعاقلٍ دفعُه، من أنَّهم لا يجوزون الممكن، فيعدّون له ما يمنعُهُ على تقدير وقوعه، فأمره ﷺ أن يذكر ذلك إيذانًا بالإعراض عنهم، دليلًا على تناهي الغضب"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شِقَاقٍ﴾: (شقق) "أصلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على انصِداعٍ في الشَّيءِ، ومِنَ البابِ: الشِّقاقُ"[3]، وهو الخِلافُ والمخالفة، وكونك في شِقٍّ غير

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 573.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 223.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شقَّ).

شِقٍّ صاحبك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: 35]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137]، أي: مخالفة وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 13]، أي: صار في شقٍّ غير شقِّ أوليائه[1]، ويمكن أن يكونَ بمعنى: العداوة، قال: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: 32]، أي: عادوه[2].

2) ﴿بَعِيدٍ﴾: (بعد) أصلانِ: أحدهما: خِلافُ القُرْبِ[3]، وليس لهما حدٌّ محدود، وإنَّما ذلك بحسب اعتبارِ المكان وبغيره، ويُقال في المحسوس، وهو الأكثر، وأيضًا في المعقول نحو قولهِ تعالى: ﴿ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ [النساء: 167]، وقولهِ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: 44][4]، ووقع صفة للإيغال في الضَّلال، ونحوه من المفارقة على غيرِ رَشَدٍ، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [ق: 27]، وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: 53][5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

توجِّهُ الآيةُ رسولَ الله ﷺ إلى تحذير الكافرين من أنَّ ما هم عَليه من إنكارِ صدقِ القُرآنِ لَيسَ صادرًا عَن نَظَرٍ وتَمحيصٍ يُحَصِّلُ اليَقينَ، وإنَّما جازَفوا بِهِ قَبلَ النَّظَرِ، فلَو تَأمَّلوا؛ لاحتَمَلَ أن يُنْتِجَ لَهُم التَّأمُّلُ أنَّهُ من عِندِ اللهِ، وألّا يَكونَ من عِندِهِ، فإذا فُرِضَ الاحتِمالُ الأوَّلُ؛ فقَد أقحَموا أنفُسَهم في شِقاقٍ قَويٍّ[6].

إنكارٌ صادرٌ عن غيرِ نظرٍ، صار به الكافرون في شقاقٍ بعيدٍ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ فصل الآية:

جاء قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ مفصولًا عمّا قبله؛ لاختلاف الجملتَين

بيانُ حقيقةِ القرآن وصِدقِه وصِدقِ مَنْ جاء به

(1) الراغب، مفردات القرآن: (شق).
(2) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 267.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بعد).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (بعد)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 257.
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (بعد).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 16.

خبرًا وإنشاء، فيما يُعرف بكمال الانقطاع، ويمكن أن تكونَ جملة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ استئنافًا ابتدائيًّا مُتَّصلًا بقَولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [فصلت: 41]، إلى قَولِه: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ [فصلت: 45]، فهَذا انتقالٌ إلى المُجادَلَةِ في شَأنِ القُرآنِ رَجَعَ بِهِ إلى الغَرَضِ الأصليِّ مِن هَذِهِ السّورَةِ، وهو بَيانُ حَقّيَّةِ القُرآنِ وصِدقِهِ، وصِدقِ مَن جاءَ بِهِ[1].

الغرضُ مِنَ الأمر بالقول ودلالته:

قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ﴾ فعلُ أمرٍ يُقصد منه توجيهُ النَّبيِّ ﷺ إلى حثِّ الكافرين واستدعائِهم لإعمال النَّظر في "دَلائِلِ صِدقِ القُرآنِ، مِثل إعجازِهِ وانتِساقِهِ وتَأييدِ بَعضِهِ بَعضًا، وكَونِهِ مُؤَيِّدًا لِلكُتُبِ قَبلَهُ، وكَونِ تِلكَ الكُتُبِ مُؤَيِّدَةً لَهُ"[2]؛ تتميمًا للوعيد، وتنبيهًا على ما هم فيه مِنَ الضَّلال البعيد[3].

تتميمُ الوعيدِ وتنبيهُ الكافرين إلى ما هم فيه من الضَّلال البعيد

بلاغةُ الاستفهامِ بالهمزة:

الهمزةُ في قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ للاستفهام التَّقريري القاصد إلى تقرير المشركين وإثارتهم إلى التَّفكُّر في أمر القرآن، والابتعاد عن الكفر به من غير بيِّنةٍ أو دليلٍ على أنَّه من عند غير الله، وأنَّ محمَّدًا ﷺ افتراه من تلقاء نفسه، وأوثِرَ التَّعبيرُ بالاستفهام؛ ليعمَل التَّقريرُ والتَّنبيهُ عملَهما في القلوب القاسية، والعقول العنيدةِ المُنكِرة، فيُعيداها إلى الطَّريقِ القويم، والصِّراطِ المُستقيم.

إعادةُ القلوبِ القاسيةِ والعقولِ المنكرة إلى جادَّة الطَّريق

دلالةُ التَّعبير بفعل الرؤيةِ ماضيًا:

عبَّر النَّظمُ بفعل الرُّؤية في قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، ومعناه: "أخبِروني عَن حالِكُم إن كانَ هَذا القُرآنُ مِن عِندِ اللهِ"[4]، وأوثِرَ التَّعبيرُ به؛

كونُ القرآنِ مِن عند الله حقيقةٌ لا تقبل الشَّكَّ أو الجدالَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 16.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 16.
(3) الشهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 405، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 6.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 316.

للدَّلالة على أنَّهم مطالبون بالإخبار المبنيِّ على أدلَّةٍ واضحة وضوحَ الأشياءِ المرئيَّة بالعين، الَّتي لا يخالجها نوعٌ من الشَّكِّ أو زيغ البصرِ، وجيء به ماضيًا مسندًا إلى ضمير الجمعِ بقصد إثارتِهم لفعل ذلك، واستفزازِهم جميعًا للتَّحقُّق والتَّثبُّت، وفيه مِن الثِّقة في القرآن ما لا يخفى.

وجهُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِن﴾ الشَّرطيَّة:

استنزالُ طائرِ المُشركين حتى يُقبِلوا على التَّأمُّل في دلائلِ صِدقِ القرآنِ

آثرَ النَّظمُ التَّعبيرَ بـ ﴿إِن﴾ الشَّرطيَّة الَّتي مِن شأنِها أن تَدخُلَ على الشَّرْطِ المَشْكوكِ فيهِ؛ إرخاءً لِلعِنانِ مَعَهُم؛ لاستنزالِ طائرِ إنكارِهم، حَتَّى يُقبِلوا على التَّأمُّلِ في دَلائِلِ صِدْقِ القُرْآنِ، وقد أَلْقَى القُرآنُ بَينَهُم هَذا التَّشكيكَ تَغليبًا، ومُراعاةً لاختلافِ دَرجاتِ المُعانِدينَ، ومُجاراةً لَهُمُ لادِّعائهم أنَّهُم لَم يَهتَدوا؛ نَظَرًا لِقَولِهِم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ [فصلت: 5][1].

نكتةُ التَّعبيرِ بفعل الكون الماضي:

ليس في قدرة أحدٍ غيرِ الله أن يُنزِلَ القرآنَ بكينونتهِ هذهِ أو يوحيَ به

عبَّرَ النَّظمُ القرآنيُّ في جملة الشَّرط بفعل الكونِ الماضي، فقال: ﴿إِن كَانَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ "مغالبتَهم للقرآن بالإعراض عن السَّماع باللَّغو حال قراءتِهِ مِن الصَّفير والتَّصفيق وغير ذلك، ليس صادرًا منهم عن حجَّة قاطعة في أمرِهِ، هم معها على يقين، بل هو عن خفَّةٍ وعدمِ تأمُّل"[2]؛ لأنَّ التَّدبُّر والتَّأمُّل سيُفضي حتمًا إلى أنَّ القرآنَ بتكوينه المشتمل على الوعد والوعيد، والبوارق والصَّواعق، والغيبيّات الماضية والآتية ليس في قدرة أحدٍ غيرِ اللّٰه تعالى أن يُنزِلَهُ، أو يوحيَ به.

معنى ﴿مِنۡ﴾:

﴿مِنۡ﴾ في قولِهِ: ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الابتداءَ، والمعنى:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 16.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 223.

تحقَّقَ لكم، وتبيَّن لديكم أنَّ القرآنَ مُنَزَّلٌ مِن عندِ الله تعالى ابتداءً، وليس مِن عند أحدٍ غيره.

وجهُ التَّعبيرِ بالظَّرف ﴿عِندِ﴾:

التَّعبيرُ بظرف العنديَّة المُضاف إلى اسم الجلالة العلم في قوله: ﴿عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيه تفخيمٌ للقرآن وإعلاءٌ لمكانته وتأكيدٌ؛ لأنَّ مُنْزِلَهُ والموحي به هو اللهُ سبحانه.

سرُّ التَّصريحِ بالاسم الأعظم:

تحذيرُ المشركين مِن تكذيب بيانٍ يَظهَر بوضوحٍ أنَّه من عند الله

التَّعبيرُ باسم الجلالةِ الأعظم: ﴿ٱللَّهِ﴾، والذي يُعَبَّرُ به في مواضع التأليه والتَّعظيم في قوله تعالى: ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيه تربيةٌ للمهابة، وبثٌّ للرُّعب في قلوب المشركين، وتحذيرٌ لهم من تكذيب بيانٍ يَظهر بوضوحٍ من كينونته وإعجازه وأعاجيبه أنَّه مِن عند الله جلَّ شأنه، فالمعنى: "مِن عند الله الَّذي له الإحاطة بجميع صفات الجلال والجمال، والَّذي لا يُغالَب"[1].

توجيهُ العطفِ بـ ﴿ثُمَّ﴾:

الكفرُ بالقرآن أمرٌ في غاية البُعد، ولا يكون إلّا عنادًا واستكبارًا

﴿ثُمَّ﴾ في قَولِهِ: ﴿ثُمَّ كَفَرۡتُم﴾؛ للتَّراخي الرُّتْبِيِّ، عُبِّر به؛ للدَّلالة على أنَّ الكفرَ بالقرآن في غاية البُعد، ولمّا كان مقصودُ السّورة دائرًا على العِلم؛ نبَّه على ذلك بأداة التَّراخي مع الدَّلالة على أنَّ ذلك ما كان منهم إلّا بعد تأمُّل طويل، فكانوا معاندين حتّى نزلوا بالصَّفير والتَّصفيق مِن أعلى رتبِ الكلام إلى أصوات الحيوانات العجم[2]، وفي التَّعبيرِ به أيضًا دلالةٌ على أنَّ الكُفْرَ بِما هو مِن عِندِ الله أمْرُهُ أخطَرُ مِن كَونِ القُرآنِ مِن عِندِ الله[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 223.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 223.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 16.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ الكفر ماضيًا مجموعًا:

المشركون كفروا بالقرآن مع وضوح الأدلَّة ووجود البراهين على صِدقِهِ

عبَّر النَّظمُ عن إنكار الكافرين صِدقَ القرآن، وتكذيبهم مَن جاء به، على الرَّغم من وجود الدَّلائل على صِدقه، بفعل الكفر ماضيًا، مسندًا إلى ضمير الجماعة في قوله: ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾؛ للتَّشنيع بفعلهم، والتَّعجيب من إنكارِهم وكفرِهم بعد ظهور الأدلَّة على صِدق القرآن، وأنَّه مِن عندِ الله، ولا طاقةَ لأحد مِن البشر أو غيرهم على افترائِهِ، أو الإتيان بمثلِهِ، وبعد أنِ استنزل القرآنُ طائِرَهم، فخاطب عقولَهم، وسعى في تليين قلوبِهم، والمعنى: "كفرْتُم به بعدَ إمعانِ النَّظر فيه، والتَّحقُّق من أنَّه حقٌّ، فكنتُم بذلك في شقاقٍ هو في غاية البُعد مِنَ الملاءمَةِ لِمن لم يزل يستعطفكم بجميل أفعالِهِ، ويردُّكم بجليل أقوالِهِ، وآمن به غيرُكم؛ لأنَّه مِن عند الله"[1].

معنى الباءِ في ﴿بِهِۦ﴾ ومرجع الضَّمير فيه:

الباءُ في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ يمكن أن تكونَ للإلصاق، ويمكن أن تكونَ للتَّعدية، والضَّمير المجرور فيه يرجع إلى القرآن الكريم، الَّذي سبق تسميتَهُ ﴿بِٱلذِّكۡرِ﴾ [فصلت: 41] في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾ [فصلت: 41]، وفي التَّعبير بهما تأكيدٌ لكفر مشركي مكَّة بالقرآنِ، وتقويةٌ لإنكارهم كونَهُ مُنَزَّلًا مِن عندِ الله على رسولِهِ ﷺ.

بلاغةُ الاستفهام بـ ﴿مَنۡ﴾:

لا يوجدُ أضلُّ مِمَّن وضع نفسَهُ في شقٍّ غيرِ شقِّ اللهِ ورسولِه

﴿مَنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَضَلُّ﴾ اسمُ استفهامٍ قُصِد به النَّفي، والمعنى: لا يوجد أضلُّ مِمَّن هو في شِقاقٍ بَعيدٍ[2]؛ لأنَّهم كفروا بالقرآن مع تعاضُد موجبات الإيمان به[3]، وأوثرَ التَّعبيرُ عن هذا المعنى بالاستفهام؛ لما يمتاز بهِ من تنبيهِ المخاطَبين إلى ضرورة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 224.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 16.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 6.

التَّفكُّر والتَّدبُّر فيما يُطرح عليهم مِن خلال السُّؤال؛ ليقفوا مع أنفسِهم، ويتراجعوا عن غيِّهم.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿أَضَلُّ﴾ مادَّة وصيغة:

المشركون وصلوا في الضَّلال مَبْلَغًا فاقوا بهِ مَنْ سبقهم

قولُه: ﴿أَضَلُّ﴾ اسمُ تفضيلٍ، أوثِرَ التَّعبيرُ به عن خطأ الكافرين في إنكارِهم صِدْقَ القرآن، وتكذيب كونهِ مِن عند الله؛ لدلالتهِ على التَّخبُّط والتّيه وعدم الهداية، ما يعني: أنَّهم بالغوا في تكذيبِ القرآن، وذهبوا في ذلك مذهبًا بعيدًا لم يصل إليه غيرُهم، وأنَّ ما ذهبوا إليه ليس مِنَ الصَّواب، ولا يتَّصل به مِن قريبٍ ولا بعيدٍ، وأوثِرَ التَّعبيرُ عنه بصيغة اسم التَّفضيل؛ للدَّلالة على مزيد ضلالِهم وبُعدِهم في غيِّهم[1]، ووصولهم فيه مبلغًا فاق الكافرين السّابقين.

معنى (مِنْ):

(مِنْ) في قولهِ: ﴿مِمَّنْ﴾ هي البيانيَّة المؤكِّدة عدمَ وجودِ أحدٍ أضلَّ مِنَ المشركين الذين كفروا بالقرآن مع تأكُّدهم من أنَّه وحيٌ مِن عند الله، أنزله اللهُ على رسوله.

بلاغةُ التَّعبيرِ باسم الموصول وصلتهِ:

مشاقةُ اللهِ ورسولهِ أصلُ الضَّلال وسببُه الرَّئيسُ وموجبُ العذابِ الأوَّلِ

كان مقتضى الظّاهر أن يُقال: (من أضلَّ منكم)، لكنَّ البيان عدل عن التَّعبير بالضَّمير إلى التَّعبير باسم الموصول وصلتهِ، فقال: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؛ بيانًا لحالهم وصفتهم[2]، ولِما تَأْذَنُ بهِ الصِّلَةُ مِن تَعليلِ أنَّهُم أضَلُّ الضّالّينَ بِكَونِهِم شَديدي الشِّقاقِ، وذَلِكَ كِنايَةٌ عَن كَونِهِم أشَدَّ الخَلْقِ عُقوبَةً؛ لِما هو مَعلومٌ مِن أنَّ الضَّلالَ سَبَبٌ لِلخُسرانِ[3].

(1) الشهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 405.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 206.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 17.

فائدةُ التَّعبيرِ بضمير الفصل:

جاء البيانُ بضمير الفصل: ﴿هُوَ﴾ بين المبتدأ والخبرِ في قوله: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؛ لتأكيد أنَّ ذلك الكافر الَّذي أنكر القرآن بعد أن ثبت لديه أنَّه مِن عند الله قد بالغ في مشاقَّة الله ورسوله، وذهب فيها مذهبًا بعيدًا من غير أدلَّة داعمة، ولا براهين مساندة، وأنَّ حاله لن يكونَ غيرَ ذلك، ولا يمكن وصفُه بشيءٍ آخر.

معنى ﴿فِي﴾:

أوثِرَ التَّعبيرُ بحرف الجرِّ المفيد للظَّرفيَّة: ﴿فِي﴾؛ للدَّلالة على أنَّ العداوةَ والشِّقاقَ قد استبدَّ بهؤلاءِ الكفّار، وأحاط بهم إحاطةً تُشبِه إحاطةَ الظَّرف بالمظروف والوعاء بما فيه، ما يعني أنَّ مَنْ يفعلُ ذلك مُغْرِقٌ في الشِّقاق، مُبالِغٌ في العداوة.

إحاطةُ الشِّقاق بالكافرين تشبه إحاطةَ الظَّرف بالمظروف

وجهُ التَّعبير بمفردة: ﴿شِقَاقٍ﴾:

آثرَ البيانُ التَّعبيرَ بكلمة: ﴿شِقَاقٍ﴾؛ ترهيبًا مِن تكذيب القرآن، والقول بأنَّه ليس مِن عند الله؛ إذ يدلُّ التَّعبيرُ به على أنَّ مَنْ يفعل ذلك قد جعل مِن نفسِهِ عدوًّا لله سبحانه، وخصمًا لرسوله ﷺ، وأنَّه معدودٌ في شقٍّ غيرِ شقِّهما، وسائرٌ في طريق غير طريقهما، ومِن البدهي أنَّه لا طاقة لأحدٍ مِن البشر أيًّا كان على تحمُّل النَّتائج المترتِّبة على معاداة الله تعالى، وعصيان رسوله في الدُّنيا والآخرة، وفي التَّعبير به نكرةً منوَّنًا دلالةٌ على تعظيم الشِّقاق وتفخيمه.

إنكارُ صِدق القرآنِ معناهُ إعلانُ معاداةِ اللهِ ورسولِه

بلاغةُ المجازِ في كلمة: ﴿شِقَاقٍ﴾:

التَّعبيرُ بلفظ الـ ﴿شِقَاقٍ﴾ مجرورًا بحرف الظَّرفيَّة فيه استعارةٌ مكنيَّة، شُبِّه فيها الشِّقاقُ ببئرٍ عميقٍ، ألقى الكفّارُ بأنفسِهم في أعماقه، وصاروا لا يستطيعون الخروجَ منه، ثم حُذف المشبَّه به، ورُمِزَ إليه بشيءٍ مِن لوازمِهِ، وهو الظَّرفيَّة، على سبيل الاستعارة

الشِّقاقُ بئرٌ عميقٌ ألقى الكفّار بأنفسهم في أعماقِهِ، وصاروا لا يستطيعون الخروج منه

المكنيَّة التي تُبرز عمقَ العداوة، وتُصَوِّرُ شدَّةَ الخصومةِ المترتِّبة على الكفر بالقرآن، وتكذيب كونهِ مِن عند الله.

سرُّ وصف الشِّقاق بالبعيد:

الشِّقاقُ فراقٌ لا رجاءَ معه في العودة والدُّنوّ

قولهُ: ﴿بَعِيدٍ﴾ صفةٌ لـ ﴿شِقَاقٍ﴾، أوثرَ الوصفُ به؛ تقويةً للتَّرهيب من الكفر بالقرآن، وتأكيدًا للتَّحذير مِن تكذيبه؛ لما فيه مِن الدَّلالة على أنَّ مَن فعلَهُ قد أوغل في الشِّقاق والضَّلال، وذهب فيهما مذهبًا لا يمكن معه العودةُ إلى طريق الهدى والرَّشاد، فـ "الضَّلالُ أصلُهُ عَدَمُ الاهتداءِ إلى الطَّريق، والبُعْدُ مُناسِبٌ للشِّقاق؛ لأنَّ المُنشَقَّ قد فارَقَ المُنشَقَّ عَنهُ، فكانَ فِراقُهُ بَعيدًا لا رَجاءَ مَعَهُ لِلدُّنوِّ"[1].

بلاغةُ الاستعارةِ في وصف: ﴿بَعِيدٍ﴾:

إبرازُ قوَّةِ الشِّقاق وشدَّته

الـ ﴿بَعِيدٍ﴾ في الأصل: الواسِعُ المَسافَة، عبَّر به هنا عن: الشَّديد في جنسه[2]، على سبيل الاستعارةِ الَّتي شُبِّهَت فيها الشِّدَّة في الشِّقاق بالبُعد في المسافة، ثم حُذِفَ المشبَّهُ بعد تناسي التَّشبيه، ثم استُعير البعيدُ للشَّديد استعارةً تصريحيَّةً، تبرز قوَّةَ الشِّقاق وشدَّته.

بلاغةُ الاحتباك في الآية:

ذِكرُ المضارِّ أصدعُ للقلب وأنفعُ في الوعظ

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ احتباكٌ؛ إذ ذكر النَّظمُ القرآنيُّ الكفرَ أوَّلًا دليلًا على الإيمان ثانيًا، والضَّلالَ ثانيًا دليلًا على الهدى أوَّلًا، والتَّقدير: قل أرأيتم إن كان مِن عند الله؛ لهداكم، مَنْ أضَلُّ مِمَّن هو في شقاق بعيد، فآمنوا، وسِرُّه أنَّ ذِكرَ المَضارِّ أصدعُ للقلبِ، وأنفعُ في الوعظ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 17.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 17.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 224.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"